واحرّ قلباه لأبي الطيب المتنبي دراسة تحليليّة

إعداد

م.م. ازهار فنجان صدام

كلية التربية / جامعة ذي قار/ قسم اللغة العربية

thiqaruni.org

المقدمة:

ابو الطيب المتنبي، شاعرالعربية الأكبر، الذي كان ينام ملء جفونه عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم ، وهو الذي اعترف له أهل زمانه بأنه مالئ الدنيا وشاغل الناس[١].

واختلف معاصروه فيه وتطرفوا في رفعه اوخفضه ، ولكنه حاز الرضا العام ، وتتلمذ على شعره من جاء بعده من الشعراء إلى اليوم ، ولذلك ألف حوله من الكتب أكثر مما ألف حول أي شاعر آخر.إذ بدأ المجد الحقيقي للمتنبي عندما اتصل بسيف الدولة الحمداني أمير الدولة الحمدانية في حلب الذي جعله شاعره الرسمي فخصه بأروع مدائحه وسجل بطولاته وملاحمه الحربية مع الروم.

وكما مثلت هذه الحقبة مجد سيف الدولة الحمداني بوصفه بطلا عربيا فذا فقد مثلت أيضا أمجاد المتنبي بعده ابرز شاعر فقد تجاوزت شهرته حدود الزمان والمكان وتصدر بعبقريته الفذه من سبقه أو جاء بعده من الشعراء العربية.

وقد اثمرت صحبة المتنبي لسيف الدولة أجمل أشعار ديوانه ولكن حسّاد الشاعر وخصومه تمكنوا أخيرا ـ من تغيير مشاعر الأمير، وهذا ما فجر قريحته لينظم لنا قصيدة شعرية وقف عندها كثير من النقاد والدراسين[٢].

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولتها نجد ان هذه القصيدة (واحر" قلباه) بحاجه الى دراسة توضح جمالها الفني فهي كما وجدناها واحدة من روائع الشعر العربي ، قائمة البناء ، تشمخ بقدرتها على تجاوز زمانها الى هذا الزمان ، انها تمثل حداثة الرؤية ، وإحكام النسيج الذي يظل خالدا ما بقي المنشدون للقصيدة ، ولذا سوف نقف عندها بدراسة تحليلية نقدية من خلال لوحات فنية رسمها الشاعر.

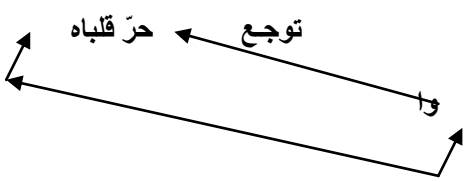

تعانق مع الألف والضمير في كلمة (قلباه) (والهاء للسكت زادها في الوصل وهو من الضرورات الخاصه بالشعر وحينئذ فيجوز فيها الضم على التشبيه بهاء الضمير والكسر على اصل تحريك الساكن[٤]) إذن (واحر قلباه) هو النداء المبكر للغضب والرحيل ، فالمكان هو مجلس سيف الدولة يحف به الاعيان ويزخر بالنقاد والشعراء الذين كانوا يبغضون المتنبي ، ويكنون له العداوة فالمتنبي إذ يلقي قصيدته ينتقل في الخطاب من سيف الدولة إلى نفسه إلى الجمهور المحتشد إلى اعدائه من الشعراء والمتشاعرين فتطاول احدهم على المتنبي ، ولم يفعل سيف الدولة شيئا لنصرة شاعره العظيم ، وكأنه رضي بذلك فغضب المتنبي ، وأزمع على السفر إلى مصر تاركا سيف الدولة الذي كان يرجو أن يأخذ حقه من ابن خالويه الذي اعتدى على المتنبي في حضرته ، فكتب هذه القصيده مادحا سيف الدولة معاتبا له.

القصيدة /التحليل

هي قصيدة الرحيل عن سيف الدولة ، وهو رحيل اعتصره المتنبي حزنا وغضبا وخيبة أمل في الذين مدحهم بعده ، ومطلع القصيدة ساطع بين المطالع الشعرية العربية التي تختصر التجربة حين يطفو الجمر على وجه القصيدة ، فيقول البيت الأول نار القصيدة وحزنها وكبرياؤها عن ايقاعها في اللوحة الاولى التي اسميناها:

١ـ الحب الواضح لسيف الدولة:

واحر قلباه ومن بجسمي
ممن قلبه شبم وحالي عنده
سقم[٣]

وا ..... تقابل عروضيا = مس .....

ولكنها دلاليا لاتقابلها فـ (الألف) خلقت امتداداً إيقاعيا يبينه المخطط الآتي:

والمشهد فيه ثنائية بين قلب شغفه صاحبه حبا، وقلب بارد ، انطلق التفجع حارا يمتد بين عتبه الغاضب وصدقه العميق.

فقد صور حبه لسيف الدولة نارا تحرق قلبه ، ولذا نجده يطلق صرخة تجسم ما يعانيه الشاعر من هموم وآلام كأنها نار تحرق قلبه.

مالي أكتم حبا وتدعي حب
قد برى سيف الدولة
جسدى الأمم[٥]

فـ (واحر قلباه) : استعارة مكنيه، تصور القلب بشيء مادي ملتهب.
و(حر ـ شبم) : محسن بديعي طباق، يوضح الفرق بين حبه وحب سيف الدولة.
و(شبم ـ سقم) : بينهما تصريع يعطي نغمة موسيقية في مطلع القصيدة.
أما (عنده) فتعبير يوحي بمخالفته للواقع فهو المحب الذي لايحبه سيف الدولة.

بدأ الشاعر ببوح ذاتي ، فليس بين القلب والشعر سوى أن يلبس الحزن عباءة اللغة، وأن يطرح سؤاله ببساطة جميلة مباشرة في قوله:

أكتم تدّعي

تعجب فيه إقرار بأن الحب ساكن فيه ..... وحبه قد (برى) جسده وأسقمه بينما حب الآخرين له ادعاء ، إذ كان الآخرون مما تدّعي حبّه ، فانه الفرد الذي يحبه حبا يفوق كل حب غير صادق مهما كثر الذين يدعون انه الحب القيد فـ (مالي أكتم حبا) أسلوب إنشائي استفهام غرضه التعجب والحسرة. وتشديد التاء في (أكتّم ، والدال في تدّعي) :

للدلالة على التوجع الى حد الانفجار وصيغه (فعّل) تعطي معنى يغاير معنى (أكتّم) كما يوحي بالمبالغة في اخفاء هذا الحب وكتمانه و (أكتم ــ تدعي) محسن بديعي طباق يوضح الفرق بين حبه الصادق لسيف الدولة وبين حب الآخرين المصطنع.
وقوله (وقد برى جسدي) أسلوب مؤكد بقد وهو كناية عن ضعفه وشدة معاناته من هذا الحب المكتوم والصورة هنا توحي بأثر الحب الواضح على جسده

إن كان يجمعنا حب لغرته فليت أنا بقدر الحب نقتسم[٦]

و(حبا قد برى جسدي) استعاره مكنيه تصور الحب آلة تصيب الجسد بالنحول و(تدّعي) تعبير يوحي بالكذب والزعم الخاطئ ؛ فبحبهم نفاق ورياء لاصدق فيه وهي منصوبة بأن مضمرة بعد الواو وسكنه ضرورة و(الأمم) جاءت جمعا مضمرا ومعرفة لتدل على كثرة المنافقين في حب سيف الدولة.
وفي قوله :-

(غرته : أي طلعته واسم ليت وخبرها محذوفان. سدت أن وصلتها مسدهما. ان كان حبه جامعا لنا أي كنا كلنا مشتركين فيه فليتنا نقتسم مواهبه بمقدار ذلك الحب حتى ينال كل منا ما يستحقه[٧]) ولكن يؤسفني أنني أحبه اكثر ولم انل ما استحقه. والعدل المطالب به هو اقتسام رضا الامير بقدر الحب الصادق فيحصل في حبه على نصيب كامل ويحرم منه المنافقون ، لأنهم لايستحقون والتكرار في كلمة (حب) كما نراه تكرار وظيفي

حبّ ← حب
حبّ ← حب
حبّ ← حب

أراد الشاعر به تأكيد أن حبه لسيف الدولة تقومه الألفاظ بمعنى أنه حب جارف أخذ على الشاعر حواسه جميع وهذا ما حدا به الى تكرار كلمة (الحب) اربع مرات في بيتين فقط وهذا ما خلق جذبا إيقاعيا في القصيدة.

و(غرته) مجر مرسل عن وجهه علاقته الجزئية ، وسر جمال المجاز الدقة والإيجاز اما(فليت بقدر الحب نقتسم) فأسلوب إنشائي نوعه تمن ؛ لإظهار التحسر. ولذا فقد وصف النقاد[٨] لغة المتنبي والفاظه بلغة الحب والغزل.
أما في قوله :

قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فكان احسن خلق الله كلهم وكان احسن ما في الاحسن الشيم

فوت العدو الذي يممته ظفر في طيه أسف في طيه نعم[٩]

نجد في (قد زرته) و(قد نظرت) تقسيم إيقاعي بالفعل خلق تصاعدا إيقاعيا دلاليا في البيت إضافة الى تقابل بالصور بين الصدر والعجز وكلمة (كلهم) كسرت الإيقاع وليس العروض ولعل المتنبي أراد أن يوازن بين كسر سيف الدولة لقلبه وهذه الكسرة في الإيقاع كما هو مبين في المخطط الأتي:

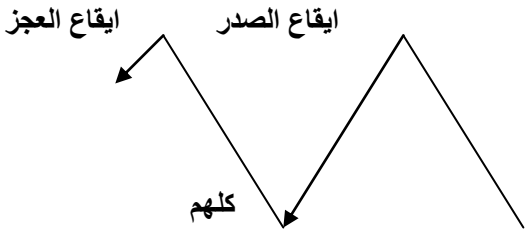

و(مغمدة) كناية عن حالة السلم و(السيوف) كنايه عن حالة الحرب والتقسيم في العجز والصدر (في طيه ــ في طيه) وتبلغ الصورة حدا رائعا وهو يصف مشهدا من زاويتين إنسانيتين هما :
الأسف والنعمة فالأسف عندما يتراجع العدو والنعمة عنه مواجهة سيف الدولة ، فحزن سيف الدولة وأسفه لأن العدو فر خائفا ولم يواجهه في ساحة المعركة ، ومبعث نعمة لأنه حجب دماء رجاله.
فسيف الدولة يريد نصرا ينتزعه في معركة تتصافح فيها سيوفه ورقابهم . ويستمر في وصف سيف الدولة في معاركه بقوله :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت ... لك المهابة ما لاتصنع البهمُ

ألزمت نفسك شيئا ليس يلزمها ... أن لا يواريهم أرض ولا علمُ

أكلما رمت جيشا فانثنى هربا ... تصرفت بك في آثاره الهممُ

عليك هزمهم في كل معترك ... وما عليك بهم عار إذا انهزموا[١٠]

قد ناب عنك الخوف في تفريق الأعداء وتشتيت شملهم وأن مهابتك في اعدائك صنعت فيهم أكثر من الجيوش الجرارة كما الزم نفسه بقتل الاعداء وأنه ظل يطاردهم حتى يفنيهم وقمة الشجاعة أن يقضي عليهم ولا يترك لهم فرصة لأن يختفوا خلف جبل أو في صحراء وطالما فر الأعداء فلا داعي أن يلزم نفسه ذلك ، وانك انسان رائع وكلما قصدت جيشا ولى هاربا منك وعلى الرغم من ذلك فأنت تطلبه بإصرار فـ (أكلما) أسلوب إنشائي استفهامي غير حقيقي أداته الهمزة وغرضه التعجب وهدفه الفخر وإظهاره المقدرة) .
ولو أمعنا النظر في هذه الأبيات لوجدناها كلها تحمل فكرة واحده وهي يكفيك أن يفر الأعداء من أمامك . ولكن المتنبي يستولد المعاني وهذه إحدى خصائص شعره .

وفي قوله :

أما ترى ظفرا حلوا سوى ظفر ... تصافحت فيه بيض الهند واللمم[١١]

نجد في تكرار (ظفر) جمال الإيقاع وفي (تصافحت) استعارة مكنية حيث شبه السيف بيد الإنسان وحذف المشبه به وشبه اللمم بيد إنسان آخر وحذف المشبه واتى بشيء من لوازمه وهي (المصافحة) فـ
(تصافحت) أي المصافحة تدل على الشوق والشوق يدل على القوة وهذا دليل على أن المعركة شديدة و(اللمم) تعبير مجازي أراد به الجزء الخاص بمقتل الإنسان فالعلاقة مكانية.

٢ـ اللوحة الثانية (عتاب المحب):

يا اعدل الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم[١٢]

عندما يأتى الخصم ويقدم موضوع القضية الى خصمه فانه يستمد عواطفه للوصول الى عطفه فان هذا التسامح والكرم لا يمكن أن يقابل بالجفاء ونقصان الحق . أى من أخاصم فيك وأنت الخصم والحاكم فيها فـ (يا أعدل الناس)
هذه الياء تمثل تصاعدا إيقاعيا دلاليا في القصيدة إذ تتعانق مع الياء التي جاءت في البيت(٣٤) ولعل لجوء الشاعر الى هذا الاسلوب يدل على التوحد النفسي والشعور ببعد المقابل على الرغم من قربه منه.
وهذا الاسلوب نجده يمد خيطا واضحا الا وهو المشاعر الصادقة بالالم مع وامن (واحرّ قلباه) المخطط ادناه يبين ذلك :

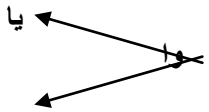

فـ (يا أعدل الناس) أسلوب انشائى : نداء غرضه اظهار العتاب والاستعطاف . (فيك الخصام) اسلوب قصر بتقديم الجار والمجرور يفيد التخصيص و(انت الخصم والحكم) اسلوب قصر بتعريف المبتدأ والخبر يفيد التخصيص و(الا في معاملتي) أسلوب استثناء والمستثني معاملة الشاعر والمستثنى منه معاملة الناس .

و(أعدل الناس) هذا هو مدخل اللوحة الثانية في التجربة نداء اخر غاضب. فالخطاب اولآ كان لنفسه(واحر قلباه) و (مالي اكتم) ثم للجالسين الذين يدعون حبه، ثم انتقال جميل جعله يدير وجهه نحو سيف الدولة وينادي عليه وكأن المتنبي ممثل في مسرح واحد يقدم نصا عظيما تعددت فيه أوجه الخطاب وصيغة ، وهاهو يخرج من لوحة خطاب ذاته وتقريع الجالسين الى هذا العتاب الجميل كما هو في المخطط :

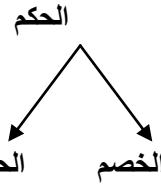

تدل علي شدة المأساة وفي (الخصام والخصم) جناس .

وفي قوله :

أعيـذها نظـرات منـك صـادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم[١٣]

(اعيذها) الضمير يعود على النظرات أي اعيذ نظراتك الصادقة و(الشحم) رمز الناس المتظاهرين بحب سيف الدولة وفيه تشبيه ضمني شبه العلاقة التي بين الشاعر والممدوح والعلاقة بين الشعراء الآخرين والممدوح بالعلاقة بين الانسان والناظر الى شخص سليم مليء وبين أشخاص آخرين ولا يعرف حقيقة هذا الورم . (اعيذها) ترجع الى النظرات وهي تفسير

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم[١٥]

لها . (أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم) تشبيه ضمني يصور من يخطئ في رأيه كمن يرى الورم فيظنه سمنة. وفي الصورة إيحاء بظلم سيف الدولة ولكن كلمة (اعيذها) دحضت اراء النقاد[١٤] في انه ذم لسيف الدولة وإيحاء لظلمه.

وقوله :

يعني الشاعر أنه لا فائدة من البصر إذا لم يفرق صاحبه بين النور والظلمة كما انه لا جدوى من الخبرة والبصيرة إن لم تمكن صاحبها من التفرقة بين العواطف الصادقة والعواطف الزائفة. وفي قوله وقوله :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خير من تسعى به قدم[١٦]

(أخي الدنيا) كنايه عن الخبرة والمعرفة بالحياة و(ما انتفاع) أسلوب إنشائي استفهام غير حقيقي يقصد به النفي أي نفس انتفاع للناظر بالعين و(الأنوار) استعاره تصريحيه ، حيث شبه الحب الزائف بالظلم .

نجد في الفعل سيعلم (الاحتواء الكامل) وقد أراد أنه خير من يسير على الأرض وأفضل شاعر حملته قدماه إلى سيف الدولة. وفي هذا البيت ينتقل أبو الطيب بالخطاب إلى أهل المجلس وذاك يدل على

٣- لوحة الفخر (بالشعر والشجاعة)

أنا الذي نظر ... وأسمعت
الأعمى الي ... كلماتي من به
أدبي ... صمم[١٧]

كبريائه وذاته حتى يصل حد الغرور، وقد استثارهم ، وبينهم أبو فراس الحمداني وذلك عندما قال (سيعلم الجمع....) و (ممن ضم مجلسنا) مجاز والعلاقة محلية أي الموضع يقصد به مجلس الشعراء.

يفخر الشاعر بقدرته الأدبية فشعره استطاع الأعمى ان يقرأه والأصم أن يسمعه وقد اخذ غضب ه :

المتنبي يتصاعد (أنا الذي نظر الأعمى إلي أدبي) أسلوب خبري غرضه الفخر. (واسمعت كلماتي من به صمم) كناية عن قوة تأثير شعره حتى اسمع الأصم و (نظر الأعمى) و (اسمعت-صمم) محسن بديعي . طباق يوضح المعنى ويبرزه.

أما فيّ قول

أنـام مـلء جفـوني عـن شـواردها ويسـهر الخلـق جراهـا ويختصـم

وجاهـل مـده فـي جهلـه ضـحكي حتـى أتتـه يـدٌ فرّاسـة وفـم[١٨]

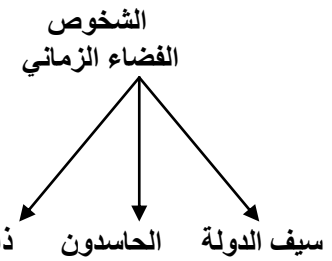

فـ (ملء) نائب عن المفعول المطلق أي أنام نوما مالئا جفـونى . فالضـمير مـن (شـواردها) للكلمـات يريـد الاشعار و (جراها) بمعنى اجلها وسببها ، والأصل (مـن جراهـا) فحـذف الجـار ونصـب المجـرور مفعـولا لـه[١٩].وهذا هو الصوت العنيف الذي يثير عليه حساده ومبغضيه ، وإذا كان الزمن قد تباعد بيننا وبينه ، فهل لنا أن نمتحن الآن رؤيته وصدق ظنونـه ! ها هو بعد فرقـة ألـف مـن السـنوات مـا يـزال حاضـرا ،قـد نامـت عيونه والنقاد والقراء بعده حول شعره يختصمون ، فهـو الشـاعر الحاضـر المعاصـر وهـو شـاعر الرؤيـة الكاملـة ، ولـو كانـت رؤاه ناقصـة لتلاشـت بعـد زمانـه بزمان قصير.

وفي قوله :

إذا رأيـــت نيـــوب الليـــث بـــارزة فـــلا تظـــنن أن الليـــث يبتســـم

ومهجـــه مهجتـــي مـــن هـــم صـــاحبها أدركتهـــا بجـــواد ظهـــره حـــرم

رجـلاه فـي الـركض رجـل واليـدان يـد وفعلـــه مـــا تريـــد الكـــف والقـــدم

ومرهـــف ســـرت بـــين الجحفلـــين بـــه حتـــى ضـــربت ومـــوج المـــوت يلـــتطم[٢٠]

(إذا رأيت نيوب الليث) تشبيه ضمني : شبّه تكشيرة الاسد لفريسته بالابتسام لها وابتسامة الشاعر لخصـمه انمـا هـي تـدل علـى السـخرية الغاضـبة . و (مهجة مهجتي) جناس (ومرهف) السيف الرقيق الحد وهو معطوف على ما قبله ويقصد الشاعر هنا ورب سيف رقيق خضت بـه معركـة ضـارية و (مـوج المـوت يلـتطم) صـورة جميلـة رسـمها الشـاعر فـي وصـف المعركة.

وقوله :

ألخيـــل والليـــل والبيـــداء تعرفنـــي والســـيف والـــرمح والقرطـــاس والقلـــم

صـحبت فـي الفلـوات الـوحش منفـردا حتـــى تعجـــب منـــي القـــوروالأكم[٢١]

ويبين هذا المخطط انشطار ذات الشاعر ولعل شعوره بالألم من قول الحاسدين جعلـه يطلب اللجوء الى هذه الاساليب من استعراض قدرة الشاعر وفي الميادين كافة سواء أكانت شعرية ام إقدام وفروسية.

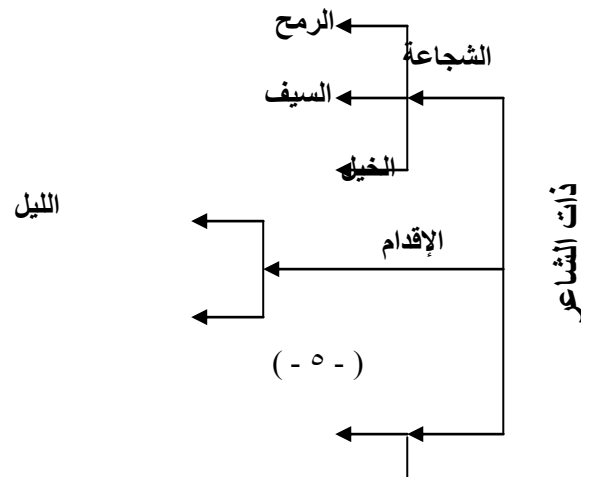

(الخيل والليل والبيداء تعرفني) معادل موضعي لابيات الفخر كلها فقد فخر الشاعر بشجاعته وبطولاته معروفه فهو فارس الفرسان

وهو المقاتل البارع في استعمال السيف والرمح كما أنه الأديب المبدع الذي يجيد التعبير والعزف بالكلمات و(الخيل – الليل) محسن بديعي جناس ناقص له تأثير موسيقي و (السيف – الرمح) ، (القرطاس – القلم) نجد فيها مراعاة النظير: وهو

يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كل شئ بعدكم عدم[٢٣]

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة ... لو أن أمركم من أمرنا أمم

يعلن الشاعر إن فراق الأمير يعزو ويصعب فكل شيء بعد فراق الأمير لاطعم له وإذا فارقناكم وجدنا كل شيء بعدكم والعدم سواء لأنه لايغنى منكم أحد ولا يخلفكم عندنا بديل . فـ (يا من يعز علينا أن نفارقهم) أسلوب انشائي نداء للاستعطاف والحب و (وجداننا كل شيء بعدكم عدم)

كنايه عن شدة حب الشاعر لأميره .

و(وجداننا – عدم) محسن بديعي طباق يوضح المعنى

وفي قوله:

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ... ويكره الله ما تأتون والكرم؟

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ... أنا الثريا وذان الشيب والهرم

ليت الغمام الذي عندى صواعقه ... يزيلهن إلى من عنده الديم؟

أرى النوى يقتضيني كل مرحلة ... لا تستقل بها الوخاده الرسم[٢٤]

لئن تركن ضميرا عن ميامننا ... ليحدثن لمن ودعتهم ندم

فـ (تطلبون) دلالته يسقطون عيوب المتنبي. يلتفت الشاعر إلى خصومه في البلاط ويخاطبهم بلغه الرجل المتفوق ثم يلجأ الى مديح الذات فيقول ما تلمسوه من العيب والنقصان بعيد عني ، مثل الشيب عن الثريا . أي كما أن الثريا لا تشيب ولا تهرم كذلك شرفي لا يلحقه عيب ولا نقصان[٢٥].

سيرحل إذن . هاجس يلح عليه في نهاية القصيدة وهو يرى غمام سيف الدولة ينال غيره برضاه ، ويترك له الصواعق ، فالمراحل القادمة من المسير بعيده لاتقوم الإبل السريعة بقطعها ، وهو إذارحل الى مصر سيترك رحيله في قلب سيده وصديقه ندما بعيد الغور عميق الأسى .

وقوله :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هم

شر البلاد مكان لا صديق به ... وشر ما يكسب الإنسان مايصم[٢٦]

هذا البيت قائم على ثنائية الرحيل ومن ابداع الشاعر فقد استخدم أسلوبا انزياحيا وهذا ما يكثر في شعر ابي الطيب.

الجمع بين أمرين او امور متناسبة كقوله تعالى(الشمس والقمر يحسبان – والنجم والشجر يسجدان) [٢٢] فالنجم لفظة تناسب الشمس والقمر، ومعناه – وهو النبات الذي لاساق له – يناسب الشجر. كما نجد في تعريف الأسماء (الخيل- الليل- البيداء .....) لافادة العموم والشمول لكل أنواع هذه الاشياء.

٤- اللوحة الرابعة- كبرياء الشاعر.

ويبرزه. كما نجد في ياء النداء في بداية البيت تحليل العدم . وفي نداء الشاعر صوت يطلقه وفيه شيء من الحنين والتذكر والأسى. ها هي القصيدة تبلغ اجمل معانيها . الوفاء الانساني الرفيع ..... والاصرار على أن نفس الشاعر غنية بذاتها حتى ان اتهامه بالعيب امر غريب.

بين الشاعر بانه ليس هو من رحل بل هم من قدروا على ابقائه ولم يفعلوا.

(إذا ترحلت) يطلق هنا كلمة الخالصه من كل زيف وشائبة . لقد ساواه سيف الدولة بغيره من الشعراء ، وهذا امر لايقبله أبو الطيب المتفرد في عبقريته ، المقدر موهبته حق قدرها ، مالك أعنة الشعرالعربي في زمانه .... لقد ساواه بمن ليسوا من العرب ، بل ليسوا من العجم . و(ترحلت- وشر ما قنصته راحتي قنص

بأي لفظ تقول الشعر زعنفة

هذا عتابك إلا انه مقة

ألاتفارقهم)محسن بديعي/طباق يوضح المعنى ويبرزه. (وشر البلاد) هنا تصاعد وانكسار المتنبي وفقدان أمله وبقائه ويؤكد ان شر البلاد التي تخلو من الصديق واقبح مكسب هو ما يجلب عليه العار ويجعله معيبا بين الاخرين و(يكسب- يصم)محسن بديعي. طباق يوضح المعنى ويبرزه (إذا ترحلت) يخاطب نفسه[٢٧] .

وفي قوله :

شهب البزاة سواء فيه والرخم

تجوز عندك لاعرب ولاعجم

قد ضمن الدر إلا انه كلم[٢٨]

أن اسوأ ما أمتلك هو الشيء الذي يستوى في تملكه المجدون والخاملون وفي هذا البيت والبيت الذي قبله نجد الشاعر يفخر بتعالي وهو فخر مبطن بالحكمة وهو ما شاع في كثير من ابيات القصيدة.

وهذا ما اعاتبك به والعتاب ليس إلا حبا شديدا وقد ضمنت هذا العتاب دررا ثمينة وان كان قولا شديدا.

و(هذا عتابك) وهو لا يخرج عن المودة وقد صاغه المتنبي في عقد من درر الكلام ، لانقص ولا انكسار انه صاحب النفس القلقة...هذا القلق العظيم الذي صاغه تجربته وقال فيه ابياتا نختم به هذه المواجهة التي لامست اطراف قصيدة ابي الطيب ولم تستطع أن تلج إلى أعماق أسرارها ، وهذه عادة نصوصه المتميزة ، تبعث فيه الروح شيئا من (الذعر الجميل).

الخاتمة

لم ينل شاعر عربي من اهتمام الدارسين سواء كانوا قدماء أو معاصرين مثلما نال المتنبي فقد اهتم بشعره اكثر من خمسين دارسا منهم ابن جني وابن وكيع و البرقوقي واليازجي وطه حسين وغيرهم .ويندرج هذا النص الذي درسناه في غرض المديح ويضم في ثناياه فخر بالنفس وعتاب واعتذار وهو اكثر اغراض الشعر العربي ومديح المتنبي لسيف الدولة يمثل ظاهرة في الشعر العربي وهو انقطاع بعض الشعراء لبعض الممدوحين وقد سبق المتنبي إلى ذلك النابغة الذبياني في العصر الجاهلي حيث خص مدائحه للنعمان كما تفرغ الأخطل للوليد بن عبد الملك وجرير للحجاج ولكن واحدا من هؤلاء لم يكتب في ممدوحة مثل ما كتب المتنبي فقد بلغ ما كتب اكثر من ثمانين قصيدة.

وموضوع القصيدة هو مايمكن ان نسميه بوح شعري وهي تجربة عاشها الشاعر حقيقة وواقعة في علاقتة مع سيف الدولة. وقد تميزت هذه القصيدة بخصائص وسمات فنية توصلنا اليها من خلال تحليل الابيات:

١- الفاظ قوية وعبارات جزلة محكمة، وذلك ما يلائم غرض المديح وما يندرج تحته من (فخر بالنفس وعتاب للأمير) وهما من الأغراض القديمة من الشعر العربي.
٢- اما الخصائص الفنية لاسلوب المتنبي فهي عمق المعاني وترابطها والاعتماد فيها على التفصيل والتحليل فالشاعر يستولد المعاني اضافة الى روعة الصور ومزج الافكار بها والاستعانة بالمحسنات غير المتكلفة. كما هي لدى غيره من بعض الشعراء.
٣- ملامح شخصية الشاعر من خلال النص انه فارس طموح عبقري واسع الثقافة قوي الشخصية معتز بنفسه حريص على كرامته يمتاز بالوفاء لسيف الدولة ولذلك كان عتابه له عتاب محب.
٤- اثر البيئة في النص ظهور الدويلات في العصر العباسي كدولة الحمدانيين في حلب والتفاف حول سيف الدولة والتنافس بينهم كاستخدام الخيل والسيف والرمح في الحرب والقرطاس و القلم في الكتابة.
٥- تميز مدحه القوة والمبالغة وانتهاز كل فرصة للفخر بنفسه وادبة وهو يضع راسه مساويا للممدوح، وذلك يدل على طموحة واعتزازه بنفسه وثقته بقوة شخصيته ، مما يجعل ممدوحة

يحذره ويخشى عواقب هذا الطموح كقوله مفتخرا (والخيل والليل والبيداء .....).

٦- تنوعت أساليب الشاعر فبعضها خبرية للفخر وبعضها إنشائي للتعجب والتحسر.

٧- العاطفة المسيطرة على الشاعر في النص هي عاطفة الاعتزاز بالنفس الممزوجة بعاطفة العتاب التي صاغها بأسلوب الحكم وكانت الألفاظ والتراكيب ملائمة لهذه العاطفة مثل: يامن يعز علينا – نفارقهم – إذا ترحلت - الراحلون هم – انه مقه – ضمن الدر ..... الخ ويرى ان سيف الدولة هو المسؤول عن هذه القطعية؛ لانه كان يقدر على صنعها بأقامة العدل ومنع الظلم عنه وهذا يدل على اعتزاز بكرامته وعدم قبوله الإقامة لإحساسه بالظلم.

٨- هناك سمات أسلوبيه نجد فيها بصمة الشاعر نذكر منها

أ- التشديد في صيغة الفعل (أكتم – تدعى – ترحلت .....) وهذا ما يخلق إيقاعيا يتعانق مع نفسية الشاعر

ب- أسلوب الانزياح ويعني التناقض الأسلوبي[٢٩] ونلمحه في البيت إذا ترحلت عن قوم .....) وقد اشرنا الى ذلك في طيات البحث.

الهوامش

(١) المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس : عنوان الكتاب الصادر عن وزارة الثقافة والفنون في بغداد

(٢) ينظر مثلا:

- يتمية الدهر من محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي، ص٥٨

- مع المتنبي : د طه حسين ، ص٢٩٤- ٣١٧

- المثال والتحول أداء ودراسات في شعر المتنبي وحياته : د . جلال الخياط ، ص٤٢-٤٩

- لغة الحب في شعر المتنبي : د. عبد الفتاح صالح نافع ، ص٤١١

- المتنبي يسترد أباه : عبدا لغنى : الملاح ، ص١٠٨

- قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الغني : أيمن زكي العشماوي ، ص١٣٦

- المتنبي شاعر السيف والقلم ، د . فوزي عطوي ، ص٥٤-٥٩

- أبو الطيب المتنبي : دريجسير بلاشير : ترجمة د . ابراهيم الكيلاني ، ص١٩٠-١٩٣

- الصبح المتنبي عن حيثية المتنبي للشيخ يوسف الديحي تحقيق مصطفي السقا ،محمد شتا، عبده دياره ، ص٨٨

- ابو الطيب المتنبي شاعر العروبة وحكيم الدهر : د. عبدالعزيز الدسوقي ، ص٢٤٦

- سنوات ضائعه في حياة المتنبي رد علي كتاب طه حسين : مع المتنبي : هادي صبحي الخفاجي ،ص٩...الخ من المؤلفات التي لا يسع المجال لذكرها .

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العلامه أي البقاء عبدالله العكبرى البغدادي ، ص٣٦٢

(٤) العرف الطيب في شرح ديوان أي الطيب المتنبي شرح الشيخ ناصف اليازجي تقديم د . ياسين الايوبي ، المجلد الثاني ، ص٩٣

(٥) ديوان ابي الطيب المتنبي ، ص٣٦٤

(٦) نفسه

(٧) العرف الطيب في شرح ديوان المتنبي ، ص٩٣

(٨) ينظر مثلا

١- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، ص٥٨

٢- لغة الحب في شعر المتنبي ، ص٤١١

٣- الجواحظ : د. خضير

٤- المتنبي شاعر السيف

(٩) ديوان ابي الطيب المتنبي ، ص ٣٦٤

(١٠) نفسه ، ص ٣٦٥

(١١) نفسه ، ص ٣٦٦

(١٢) نفسه .

(١٣) نفسه ، ص ٣٦٧

(١٤) ينظر مثلا

١- امثال المتنبي

٢- المثال والتحول اراء ودراسات في شعر المتنبي ، ص٤٥

٣- ابو الطيب المتنبي شاعر السيف والقلم

(١٥) ديوان المتنبي ، ص ٣٦٧

(١٦) البيت غير موجود في ديوان ابو الطيب المتنبي وجدناه في العرف الطيب في شرح

Related Articles

http://thiqaruni.org/arabic/180.pdf
http://thiqaruni.org/arab5/44.pdf